37

سلطة العولمة الثقافية .. دراسة انثروبولوجية في مدينة بغداد

The authority of cultural globalization..

.an anthropological study in the city of Baghdad

الكلمات المفتاحية: سلطة، العولمة الثقافية

Key words: Authority, Cultural globalization

م.م ياسمين اسام عبد الوهاب

A.L Yasmin Osam Abdulwahab

جامعة بغداد/ كلية الآداب

University of Baghdad/ College of Arts/

Department of Sociology

الملخص

تغوص العولمة الثقافية في أعماق المجتمعات، حاملة معها تيارًا متلاطمًا من الأفكار والقيم والمعتقدات التي تتجاوز الحدود الجغرافية. إنها قوة عارمة تشكل هويتنا وتحدد رؤيتنا للعالم، ولكنها تحمل في طياتها سيفًا ذا حدين. من ناحية، تفتح العولمة آفاقًا جديدة للتبادل الثقافي والمعرفي. إنها كنافذة تطل على عالم متنوع وغني، حيث يمكننا أن نستلهم من تجارب الآخرين ونستفيد من خبراتهم. كما أنها تساهم في نشر التكنولوجيا والمعرفة، مما يدفع عجلة التنمية والتقدم. من ناحية أخرى، تثير العولمة مخاوف حقيقية بشأن فقدان الهوية الثقافية وتجانس المجتمعات. فمع سيطرة الثقافة الغربية على الساحة العالمية، تشعر العديد من الثقافات العربية عامة والثقافة العراقية خاصة بأنها مهددة بالاندثار. كما أن الاستهلاك المفرط الذي تشجعه العولمة يؤدي إلى استنزاف الموارد الطبيعية وزيادة الفجوات الاجتماعية. إن سلطة العولمة الثقافية ليست مجرد ظاهرة سلبية أو إيجابية، بل هي مزيج معقد من الاثنين. فهي قوة مؤثرة تشكل حاضرنا ومستقبلنا، ولكنها تحتاج إلى أن يتم التعامل معها بحكمة وتوازن، إن مواجهة تحديات العولمة الثقافية تتطلب تضافر الجهود على المستوى الفردي والمجتمعي والدولي. فمن خلال التعاون والتضامن، يمكننا أن نحقق التوازن بين الحفاظ على هويتنا الثقافية والاستفادة من فوائد العولمة.

Abstract

Cultural globalization is seeping into society, carrying contradicting currents of ideas, values, and beliefs that transcend geographical borders. It is an overwhelming power that shapes our identity and vision of the world. Yet, it is a two- edged sword. On the one hand globalization opens new horizons for cultural exchange. It is a window, through which we can see a diverse, yet rich world, where we can learn from other people's experiences. It also contributes to spreading technology and other forms of knowledge, which pushes development and progress forward. On the other hand, globalization raises real fears of losing cultural identity and homogeneity of societies. With the domination of western culture over the world arena, several Arab cultures, especially Iraqi culture, feel threatened. Over consumption of natural resources is encouraged by globalization which leads to the depletion of those resources and the increase of social differences. The impact of globalization is not a mere negative or positive phenomenon; it is a complex mixture of both. It is a force shaping our presence and future; however, it needs to be dealt with wisely. Facing globalization challenges requires all efforts on all levels, societal and international. Through cooperation and solidarity, we can strike a balance between maintaining our cultural identity and benefiting from globalization.

1- مقدمة:

لقد شهد العالم تقدما سريعا في نشر العولمه الثقافية عبر وسائل الاتصال الحديثة التي اجتاحت العالم في الاونه الاخيره ، نحن نعلم بان وسائل الاتصال قد تم العمل عليها قبل مائة عام واكثر ولقد ساهم العلماء في تطويرها الى ان وصلت لهذا التطور المخيف والمرعب , اذ دخلت الى بيوتنا بافكار غربية غريبة ومع سبق الاصرار والترصد. كان اهمها ما شهد القرن الحالي من ظهور وسائل ومفاهيم حديثه في مجال وسائل الاتصال ، والتي كان لها الفضل الكبير في تقدم البشرية من الناحية الاجتماعية والاقتصادية واذا كانت اجهزة الاتصال المستخدمه تمثل مفهوما اساسيا في تحقيق نمو المجتمع في نواحي متعددة منها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والبيئية والصحية ، فان تطلعنا الى تطبيق تقنيات الاتصالات الحديثة تعتبر ضرورة حضارية حتمية .

و الجدير بالذكر ان الاتصال هو ركيزة العملية الاجتماعية وهو الوسيلة التي يستخدمها الانسان لتنظيم واستقرار وتغيير حياته الاجتماعية ، ونقل اشكالها ومعناها من جيل الى جيل عن طريق التعبير والتسجيل والتعليم ، ولا يمكن لاي جماعه ان تنشا وتستمر دون اتصال يجري بين اعضائها ويعتبر الاتصال هو الجهاز العصبي الذي يعمل على تماسك المجتمع ، فالاتصال يؤثر على كل فرد بشكل او باخر لذا كل مجتمع مهما كانت بداءته او رقيه لديه نظام وتقنيات و وسائل اتصال تساعده على تسيير اموره .

ولكن في ظل المتغيرات العالمية المتسارعة, التي تتعرض لها ايضا المجتمعات العربية ومن بينها المجتمع العراقي, من ثورات تكنولوجية واتصال وتواصل وانتقال الثقافات, واطلاع الشباب على ثقافات مغايره لثقافتهم, وتغير ثقافة الاسرة التقليدية, اذ اصبحت الاسرة العراقية المعاصرة تختلف في بنائها وتركيبتها ومعاييرها وايضا في تغير البنية العقلية والنفسية لدى افراد الاسرة الواحدة.

تقف الاسرة العراقية حائرة بين المحافظة على الثقافة الموروثة وبين الثقافات الغربية الناجمة من العولمة التي غزت العالم بما تملكه من تقنيات متطورة واساليب اغواء واغراء اخترقت الخصوصية في اي مكان وزمان. وان القائمين على هذا البرنامج العولمي الواسع يطمحون الى صياغة ثقافة كونية شاملة, تمت صياغتها بدقة واتقان من اجل تحويل المجتمعات الى مجتمعات مستهلكة ومتاهلكة من اجل السيطرة عليها ووضعها تحت هيمنتها.

هذا ماحدث لدى المجتمع العراقي بعد عام 2003, اذ شهدت الساحة العراقية تغيرات جذرية وحاسمة, قادت بعدها المجتمع الى تغيرات فكرية وثقافية واجتماعية وسياسية ودينية وتعليمية, هذا التحول كله ادى الى انهيار المعايير الخاصة بالعادات والتقاليد والمفاهيم المتوارثة لدى ابناء المجتمع العراقي. لذلك تغلغلت الافكار والثقافة الغربية في المجتمع العراقي واصبحت شبه سائدة لدى الشباب وهذا ما نسميه بالغزو الفكري والذي هو اخطر انواع الغزو، اذ تتم السيطرة على الشباب من ناحية افكارهم ومشاعرهم وسلوكهم واتجاهاتهم وتكوينهم البايولوجي والنفسي والثقافي والاجتماعي.

لقد جاء البحث في فصلين الفصل الاول عن الاطار المنهجي للبحث، اما الفصل الثاني تطرق الى الشباب وهويته في ظل العولمة، و الجانب الميداني للبحث اذ تناول سلطة العولمة الثقافية على الشباب العراقي من حيث آلياتها وتحدياتها وكذلك المناقشة الختامية والتوصيات.

الفصل الاول

المبحث الاول الاطار المنهجي للبحث:

اولا) موضوع البحث:

شهد المجتمع العراقي بعد عام 2003 تحولات عميقة على كافة المستويات بما في ذلك المستوى الثقافي, اذ فتحت الابواب على مصراعيها امام تيارات العولمة, مما اثر بشكل كبير على الهوية الثقافية العراقية. بالاضافة الى تأثير العولمة على مختلف جوانب الحياة الاجتماعية والثقافية. ان هذه التاثيرات طالت وبشكل كبير فئة الشباب, مما اصبح لديهم شعور التغريب وفقدان الهوية المحلية و تغيير الانماط السلوكية ورفضه للعادات والتقاليد المحلية وعليه يمكن طرح بعض التساؤلات :

ما هي اهم مظاهر العولمة الثقافية التي يتعرض لها الشباب بشكل يومي؟ وكيف تتشكل الهويات الثقافية في ظل هذا التفاعل المتزايد؟ هل تهيمن الثقافة الغربية على العالم؟ كيف ينظر الشباب الى هذه المظاهر الثقافية؟ وكيف يتفاعل الشباب مع هذه التغيرات الثقافية؟ ما هو الدور الذي تلعبه العائلة والمؤسسات التعليمية في تشكيل نظرة الشباب للعولمة؟ هل هذه الوسائل ادت عملها بالشكل الصحيح؟ هل هي وسائل امنه ام انها شبكة ذكية ومتطورة تدخل وتجتاح المكان بدون استئذان؟

ثانيا) اهمية البحث:

يساهم هذا البحث في فهم التغيرات الثقافية التي يشهدها العالم نتيجة للعولمة, والتي زاد انتشارها في الوقت الحالي بشكل ملفت للنظر خاصة بعد 2003 وما رافق تلك الفترة من تغيرات ثقافية سريعة ادى الى تغيرات جذرية عميقة على المستويات الثقافية والقيمية والسلوكية والتي هي نتيجة حتمية للتفاعل مع الثقافات العالمية المتنوعة.

ثالثا) هدف البحث:

يسعى البحث الى فهم المتغيرات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والنفسية وتأثيرها على الشباب في المجتمع العراقي.

رابعا) منهج البحث واداته:

تم استخدام المنهج المعرفي التحليلي. تم تصميم اداة الدراسة من خلال الملاحظة والملاحظة بالمشاركة والمقابلة والاخباريون وتحليل خطاب الشباب في وسائل التواصل الاجتماعي و في

المجموعات النقاشية لفهم كيفية التعبير عن ارائهم حول العولمة، ومن واقع الخبرة العملية. من اجل الحصول على رؤى قيمة حول العمليات العقلية التي تشكل اراء الشباب وسلوكياتهم.

المبحث الثاني تحديد المصطلحات والمفاهيم:

سلطة لغة :السلطة : الجمع سلطات، سُلَطٌ، التسلط والسيطرة والتحكم

له سلطة كبيرة على سكان البلاد، مُلكٌ، قُدرةٌ، سَيطَرةٌ

السلطة: حق اتخاذ القرارات التي تحكم تصرفات الآخرين وقد تطلق على الجهة التي تملك هذا الحق. [1]

سلطة اصطلاحاً

وهي القوة التي يدركها الناس كقوة مشروعة بدلا من كونها قسرية."تستقر السلطة دائما لدى اولئك الذين تليق بهم". مما يعني ان الناس يذعنون للتوجيهات القادمة من فوق بسبب اعتقادهم ان من الصحيح والمناسب فعل ذلك. وطبقاً لماكس فيبر فأن المجتمعات ما قبل الصناعية تعتمد على السلطة التقليدية، وهي القوة التي تبرر من خلال الاحترام للانماط الثقافية الراسخة منذ زمن بعيد. ولانها منسوجة في الذاكرة الجمعية للمجتمع، فأن السلطة التقليدية قد تبدو نادرة تقريباً، لانها اخذت بالتلاشي عندما زاد تصنيع المجتمعات.

السلطة وهي الحق في اصدار الاوامر او فرض الطاعة او اتخاذ اجراء او اتخاذ قرارات نهائية. [2] ، التعريف الاجرائي للسلطة على انها قدرة الفرد او المجموعة على التأثير على افكار ومشاعر وسلوكيات الافراد و هذا ما يحدث مع الشباب من حيث تغير سلوكهم وافكارهم.

العولمة لغة :عولمة: مصدر عَولَمَ عولم يعولم، عولمةً، فهو معولِم، والمفعول مُعولَم

حرية انتقال المعلومات وتدفق رؤوس الاموال والسلع والتكنولوجيا والافكار والمنتجات الاعلامية والثقافية والبشر انفسهم بين جميع المجتمعات الانسانية حيث تجري الحياة في العالم كمكان واحد او قرية واحده صغيره ترفع الشركات العملاقه شعار العولمه لتستطيع التوغل داخل جميع الدول بلا قيد[3] .

العولمة اصطلاحاً

تشير العولمة الى وصف وتفسير كافة العمليات المجتمعية التي تخترق حدود امة ما، بما يؤدي الى تقارب اجزاء العالم، وانتشار المعلومات، والتي تدعمها التكتلات الاقتصادية والكيانات الضخمة التي تمتلك القدرة على التأثير في اقتصاديات الدول، بل والتأثير على النظم السياسية والحياة الثقافية والاجتماعية والاعلامية وامكانية نقل اي مادة ثقافية الى كل انحاء العالم، مما يؤدي الى اختراق الحدود في كافة المناحي[4].

ويرى برهان غليون انها ديناميكية جديدة تبرز داخل دائرة العلاقات الدولية، من خلال تحقيق درجة عالية من الكثافة والسرعة في عملية انتشار المعلومات والمكتسبات التقنية والعملية للحضارة .

ومن هنا نصوغ التعريف الاجرائي للعولمة وهي التغيرات التي تحدث في المجتمعات، مثل انتشار الثقافات المختلفة، و التغيرات في القيم والمعتقدات لدى الشباب[5].

الثقافية لغة:اشتقت الثقافة من ثقِف ثقفاً وثقفاً وثقافة بمعنى صار حاذقاً خفيفاً فهو ثقفٌ و ثَقفٌ و ثقيفٌ ثقِفَ وثقافه وثقوفه اللام ، احَذقه و فهمهُ بسرعةٍ و ثقفاً : ظفر به او ادركه . و الثقاف من النساء : الفطنة، الثقيف : الحاذق جداً.

و الثقافة ايضاً من ثَقفَ الرمح اي قومه و سواه ، الولد تثقيف اي هذبه و علمه فتهذب وتعلم فهو مثقف وهي مثقفه وهذا مستعار من ثقف الرمح. و الثقافه هي التمكن من العلوم والفنون والاداب ، و المثقف هو الرمح في عرف الشعراء ، المثقف الرجل ذو ثقافة.[6]

الثقافية اصطلاحاً: لقد اتخذت كلمة الثقافة معاني كثيرة لدى المفكرين والمثقفين حيث عدها بعضهم انها تعني تهذيب العقل والنفس ، وتعني التدريب الانساني للعقل. وعرفها كولردج و راسكن و نيومان بانها حالة تهذيب الذهن وتدريبه، وقام بتعريفها ماثيو ارنولد بانها دراسة الكمال الانساني. [7]

وعرف العلامة تايلور الثقافة على انها ذلك الكل المركب الذي يشتمل على المعرفة والعقائد والفن والاخلاق والقانون والعادات وغيرها من القدرات والعادات التي يكتسبها الانسان بوصفه عضوا في مجتمع .[8]

و اما التعريف الاجرائي للثقافة وهو كيفية ممارسة الثقافة وكيفية اكتساب الانماط السلوكية المشتركه بين افراد المجتمع (خاصة الشباب).

الفصل الثاني / الجانب الميداني (المبحث الاول الشباب وهويته في ظل العولمة)

اثرت العولمة بشكل كبير ومتعدد الاوجه على الثقافة العراقية، فبعد عام 2003، شهد العراق تحولات عميقة نتيجة الانفتاح على العالم. اذ فتحت العولمة نافذة على الثقافات العالمية، مما سمح للعراقيين بالاطلاع على افكار وتقاليد جديدة، وتوسيع آفاقهم الفكرية. وسهلت وسائل التواصل الاجتماعي والانترنت انتشار المعلومات والمعرفة، مما ساهم في تطور الحراك الثقافي والفكري. وادت الهجرة والزواج المختلط الى زيادة التنوع الثقافي في المجتمع العراقي.

ان التغيرالثقافي والاجتماعي المتسارع الذي هو احد خواص القرن الحالي، اي ان القيم والمؤسسات والعلاقات الاجتماعية ستكون عرضة للتغيير والتحول والتبدل عدة مرات، لا من جيل الى جيل ولكن في حياة نفس الجيل، وهذا التغير المتسارع هو نتاج للثورة التكنولوجية الثالثة وسيكون هذا التغيير واضحاً حتى بالنسبة الى من لايشاركون في صناعة هذه الثورة.

وهذا ما ظهر وبشكل واضح على فئة الشباب، الفئة التي هي بمثابة العمود الفقري للمجتمعات، وهم الاكثر تأثراً بالتغيرات السريعة التي يشهدها العالم نتيجة العولمة. تتجلى هذه التأثيرات بشكل واضح على هوية الشباب، حيث يتعرضون لصراع بين الحفاظ على هويتهم الثقافية الاصلية وبين الانفتاح على الثقافات الاخرى. ادت العولمة الى تآكل بعض جوانب الهوية الوطنية، وخاصة لدى الشباب، بسبب انتشار الثقافات الاجنبية، وتأثيرها على العادات والتقاليد واللغة المحلية. وتواجه القيم والتقاليد تحديات كبيرة بسبب تغلغل الثقافات الغربية، اذ اصبحت هذه القيم ضعيفة وقليلة الفاعلية في منع الشباب من استقبال المحتويات الاعلامية والثقافية الوافدة من مجتمعات وثقافات اخرى. ان هذه التغيرات كان لها دور في تغير الثقافة الموروثة للمجتمع العراقي, وان ثورة المعلومات والاتصال قد اثرت وستؤثر في حياة الافراد.(2)[9]

ان اتصال ثقافة بأخرى هو ظاهرة قديمة جداً قد ترجع الى بداية التاريخ الانساني نفسه، وعلى الرغم من أن اقتباس وتأثر ثقافة (أو حضارة) بأخرى كانا دائماً جزءاً من جوهر التقدم الانساني. فأن اقتران هذا الاقتباس او هذا التأثر بالقهر والاجبار لابد ان يسبب بالضرورة بعض الانخفاض في مستوى الرفاهيةالانسانية. فبصرف النظر عن "القيمة الذاتية" لاي عنصر من عناصر الثقافة أمة ما، فانه لاشك في ان ثمة خسارة ما، في مستوى الرفاهية،في التخلي عن بعض مكونات ثقافة الامة[10].

وان هذا التخلي لايحدث طوعاً وبصورة طبيعية وبحرية تامه، هذا ما يطلق عليه "القهر الثقافي" والذي لايختلف كثيراً عن القهر السياسي أو الاقتصادي أو المادي، حتى وان انتهى هذا القهر بالقبول النهائي من جانب الثقافة التي يجري غزوها، للثقافة الغازية. يقول (كويجلي) عندما تتحرك الحضارة من مرحلة العالمية الى مرحلة الانهيار سيكون هنالك كساد اقتصادي حاد وانخفاض مستويات المعيشة وحروب اهلية بين المصالح الثابتة والمتنوعة ونمو الامية والمجتمع يضعف وجهود عقيمة تبذل لايقاف التدهور. وهذا الانهيار يقود الى مرحلة الغزو " عندما لم تعد الحضارة قادرة عن الدفاع عن نفسها أولانها لم تعد راغبة في الدفاع عن نفسها تكون في وضع صعب وتكون مفتوحة للغزاة والذين في الغالب يأتون من حضارة اخرى صغيرة شبابية واكثر قوة" وان انهيار الحضارة بحسب منظور (كويجلي) يؤدي الى انهيار امة كاملة وتشل تفكير المجتمع الى اختيار الجوانب الصائبة والصحيحة.[11]

ان العولمة الثقافية تعمل عمل التنويم المغناطيسي، اذ تعمل العولمة على تنويم الشعوب ثقافياً، مما يؤدي الى فقدانها لهويتها وتراثها.

حيث لايملك المنوم مغناطيسياً اي حرية في الاختيار على الرغم من أنه قد لايعاني أي ألم من القيام بما يطلب منه القيام به من اعمال. ولكن حملات الاعلان والترويج بمختلف انواعها، تحدث أثراً لا يبعد كثيراً عن أثر التنويم المغناطيسي. أن ما يجري اليوم من "عولمة" يحدث بالضبط هذا الاثر في عدد كبير من ثقافات العالم في مختلف انحاء الأرض، فنلاحظ مثلاً أن اللغة العربية تجري ازاحتها تدريجياً من مكانها في الحياة اليومية لحساب اللغات الاوربية، سواء في وسائل الاعلام أو الخطاب الشفوي بل وحتى كلغة في المدارس هذا ماحدث لدينا في تغيير لغة

الدراسة في مدارس المتميزين والمتميزات ، وبهذا التغيير اصبحت اللغة الانجليزية هي اللغة المتداولة لدى الطلاب في دراستهم للمناهج الحكومية[12] .

المبحث الثاني آليات ممارسة سلطة العولمة الثقافية

يشكل الانتقال من مجتمع مغلق الى مجتمع مفتوح على الثقافات الاخرى تحديا كبيرا للشباب، خاصة في ظل العولمة المتسارعة. فالعولمة ظاهرة معقدة متعددة الاوجه تحمل في طياتها فرصاً وتحديات متشابكه. احد ابرز هذه التحديات هو ما اشرنا اليه "سلطة العولمة الثقافية". هذا المصطلح يعبر عن الهيمنة الثقافية التي تمارسها بعض الدول و القوى الكبرى على حساب الثقافات الاخرى، مما يؤدي الى تآكل الهويات المحلية وتجانس الثقافات. وهذه الهيمنه تتم من خلال وسائل الاعلام والاتصال، منها:

1. الإنترنت: يوفر منصة عالمية لتبادل المعلومات والأفكار والثقافات، مما يسمح للأفراد بالوصول إلى المحتوى الثقافي من جميع أنحاء العالم[13].

.2التلفزيون والقنوات الفضائية: تبث برامج وأفلاماً وموسيقى من مختلف الثقافات، مما يؤثر على تفضيلات المشاهدين وعاداتهم.

3. وسائل التواصل الاجتماعي: تتيح التواصل الفوري بين الأشخاص من مختلف الثقافات، وتساهم في نشر الأفكار والاتجاهات بسرعة كبيرة.

.4المنتجات الثقافية: مثل الأفلام والموسيقى والأزياء، تنتشر عبر الحدود الوطنية، مما يؤثر على الذوق العام والأسلوب المعيشي ويروج لها من خلال الاعلانات على القنوات الفضائية او مواقع التواصل الاجتماعي.

المبحث الثالث تحديات سلطة العولمة الثقافية

بعد أن استعرضنا الجانب النظري للعولمة الثقافية، دعونا نتجه نحو الجانب الميداني الأكثر واقعية. هذا الجانب يركز على دراسة الحالات الفعلية التي تجسد تحديات العولمة التي يواجهها المجتمع العراقي وخاصة (الشباب).

1. تآكل الهويات المحلية: من اثار سلطة العولمة الثقافية هي تعرض الشباب الى ضغوطات نفسية وثقافية واجتماعية متزايدة تؤثر على هويتهم وتشكل تحدي كبير في بناء مستقبلهم. ولقد اتاحت وسائل التواصل الاجتماعي للشباب الوصول الى الى ثقافات مختلفة وتأثيرات متنوعة، مما ادى الى تشتت الهوية وتبني قيم وعادات لاتتناسب مع ثقافتهم الاصلية. اذ تسعى وسائل الاعلام الى استهداف الشباب وتوجيه سلوكهم من خلال الاعلانات والبرامج التلفزيونية والافلام، مما يؤثر على قيمهم وعاداتهم. وقد يسعى بعض الشباب الى الاندماج في ثقافات اخرى، اما رغبة في الاندماج او بسبب ضغوط الاقران، مما يؤدي غياب الدعم الاسري والمجتمعي الى فقدان الشباب للشعور بالانتماء الى ثقافتهم، مما يؤدي الى تهميش هويتهم الاصلية، واصبح هنالك تغريب من ناحية الهوية الثقافية.

2. تجانس الثقافات: تلعب وسائل التواصل الاجتماعي دوراً حاسماً في نشر الثقافات المختلفة وتسهيل التواصل بين الشباب حول العالم. وهذا يؤدي الى تبادل الافكار والعادات والتقاليد، مما يساهم في تجانس الثقافات. اذ يواجه العديد من الشباب تحدي بناء هوية هجينة تجمع بين عناصر من ثقافتهم الاصلية والعناصر التي اكتسبوها من الثقافه الغربية، مما انتج عن صراع داخلي لدى الشباب بين رغبتهم في التعبير عن هويتهم الفردية وبين الضغوط الاجتماعية للحفاظ على الهوية الجماعية. وساهمت وسائل التواصل الاجتماعي بشكل فعال في انهيار الهوية الثقافية لدى فئة الشباب وذلك من خلال تعرضهم لافكار ومعلومات بعيدة كل البعد عن ثقافة المجتمع العراقي. لذلك نلاحظ الشباب اليوم سائرون على ثقافة غربية واحدة متجانسة ، وهذه الثقافة واضحة عليهم من حيث طريقة ملبسهم وتفكيرهم واتجاهاتهم. اذ يرتدون البناطيل ذات الخصر المتدلي ويظهرون ملابسهم الداخلية من فوق البنطال، ويرتدون السلاسل العنقية والاساور وغيرها من الاكسسوارات، والقمصان الضيقة لاظهار عضلاتهم وتقاسيم جسمهم، من اجل جذب الجنس الآخر والعكس صحيح. ان الثقافة الغربية تسعى الى توحيد العالم بثقافة واحدة شاملة لمعتقدات وقيم غربية وضعت اسسها من قبل دول كبرى تسعى الى احتلال العالم بطرق حديثة ومبتكرة بعيدة كل البعد عن التدخل العسكري الا وهي وسائل التواصل الاجتماعي التي تلعب دور كبير في نشر الثقافة الغربية لمختلف انحاء العالم.

3. الاستهلاك: يعتبر الاستهلاك الناجم عن العولمة الثقافية اداة قوية في تشكيل الهويات وتوجيه السلوكيات في ظل العولمة الثقافية. ولكن الامر يتجاوز مجرد التأثير، بل يصل الى حد فرض نمط حياة معين. اصبح الاستهلاك اداة للهيمنة الثقافية من ناحية توحيد الاذواق وفرض نمط حياة معين، ادى الى فقدان التنوع، مما يساهم في نشر قيم وعادات ثقافية غربية التي تؤدي الى تهميش القيم التقليدية مثل التعاون والتضامن. وايضاً ساهم الاستهلاك على خلق احتياجات وهمية، اذ تعمل الاعلانات والتسويق على خلق احتياجات وهمية لدى المستهلكين، مما يدفعهم الى شراء منتجات لايحتاجونها بالفعل. تعتبر قضية الاستهلاك في ظل العولمة الثقافية قضية معقدة، اذ أصبح المجتمع (وخاصة فئة الشباب) مندفع نحو الاستهلاك الكبير للمنتجات المستوردة على حساب المنتجات المحلية والتي ادت بعد ذلك الى ضمور المنتجات المحلية او انعدامها في المجتمع، فالعولمة الثقافية حولت المجتمعات العربية والمجتمع العراقي من مجتمعات منتجة الى مجتمعات مستهلكة، فأصبحت هذه الدول أسواق كبيرة ومفتوحة تساعد في ترويج الثقافة الغربية من خلال استيرادها للمنتجات، فالنتيجة اصبح لدينا مجتمع ذوعقلية استهلاكية بدلا من العقلية الانتاجية.

4. التحديات النفسية: يواجه الشباب في مجتمعنا المعاصر، وخاصة في ظل هيمنة العولمة الثقافية، تحديات نفسية متزايدة ومتنوعة هذه التحديات تنبع من تصادم الهويات، وتأثير وسائل الاعلام، والضغوطات الاجتماعية. مما يؤثر بشكل كبير على صحتهم النفسية، ومن ابرز هذه التحديات صراع الهويات، اذ يشعر الشباب بصراع بين هويتهم الثقافية الاصلية وبين التأثيرات الثقافية الغربية التي تفرضها العولمة. هذا الصراع يؤدي الى شعور بالارتباك وعدم الانتماء الى اي مجموعة اجتماعية او ثقافية، مما يؤدي الى العزلة والوحدة والخوف من

المستقبل، خاصة في ظل التغيرات السريعة التي يشهدها العالم. فالعولمة الثقافية فتحت الابواب على العالم من خلال وسائل التواصل الاجتماعي التي تلعب دور كبير في نشر المقارنات الاجتماعية، مما يؤدي الى شعور الشباب بالنقص وعدم الرضا. لذلك يبحث الشباب عن معنى للحياة، ولكنهم يجدون صعوبة في العثور عليه في عالم يركز على المادية والاستهلاك. وبهذا اصبح لدينا جيل من الشباب المتذمر والناقم على وضعه الاجتماعي والثقافي والاقتصادي.

5. المخدرات: تشكل قضية تعاطي المخدرات بين الشباب تحدياً كبيراً للمجتمعات المعاصرة والمجتمع العراقي، ويزداد هذا التحدي تعقيداً في ظل سلطة العولمة الثقافية. حيث تتظافر العديد من العوامل لتدفع الشباب الى هذا الطريق المظلم، وتؤثر بشكل كبير على صحتهم النفسية والعقلية والجسدية ومستقبلهم. وتؤدي العولمة الثقافية دورها في انتشار ثقافة المخدرات عبر الحدود، مما يجعل الشباب اكثر عرضة للتأثر بها. من خلال الترويج لنمط الحياة الغربية، الذي يركز على المادية والمتعة اللحظية، الى تعاطي المخدرات كوسيلة للتسلية. وتسهل العولمة الوصول الى المخدرات من خلال الانترنت وشبكات التوزيع العالمية والمحلية.

6. الانتحار: يعتبر الانتحار اثر آخر من آثار العولمة الثقافية الذي زاد انتشاره في مجتمعنا العراقي وخاصة عند فئة الشباب. اذ يتعرض الشباب لعدة تحديات ثقافية واجتماعية وسياسية واقتصادية. وان ظاهرة الانتحار في المجتمع العراقي ليست بالجديدة ولكن لم تكن بهذه الاعداد المخيفة. اذ نرى اليوم، ثقافة الانتحار ازدادت لدى الشباب في المجتمع العراقي بسبب وسائل التواصل الاجتماعي، التي لعبت دوراً بارزاً في الترويج لافكار انتحارية.ان الفرد يتعرض في حياته العلمية والعملية الى الكثير من الاخفاقات وهذا شيء طبيعي وليس بالغريب على الفرد في كل المجتمعات العربية والغربية ايضاً. ولكن بسبب العولمة الثقافية وترويجها لنمط الحياة الغربية والحرية في اتخاذ قرار متطرف مثل قرار (الانتحار)، لذلك اصبح لدينا فئة من الشباب يتخذون هذا القرار بعد تعرضهم لاخفاقات عديدة مثل الرسوب في الدراسة أو عدم الزواج بمن يحب (اي رفضه من قبل اهل الفتاة) او مشاكل عائلية او عدم حصوله على عمل أو خسارته المادية في العمل. هنالك ظاهرة جديدة من الانتحار تنتشر بين افراد ينتمون لمجموعات دينية متطرفة تؤمن بالتضحية بالنفس عن طريق الانتحار تكفيرا عن الخطايا. كما تروج بعض الالعاب الالكترونية لفكرة الانتحار بعد سلسلة من الاوامر الواجب تنفيذها من اللاعب، كما سيذكر لاحقا في النقطة الثامنة.

7. التفكك الاسري: تعد وسائل التواصل الاجتماعي سيفاً ذو حدين، فهي اداة قوية للتواصل والتفاعل الاجتماعي، ولكنها في الوقت نفسه قد تساهم في تفكك الاسر. يؤدي الادمان على وسائل التواصل الاجتماعي والالعاب الالكترونية الى اهمال العلاقات الاسرية الحقيقية، حيث يقضي الشباب وقتاً طويلاًعلى هواتفهم وأجهزتهم مما يقلل من التفاعل المباشر مع افراد اسرهم. وتستخدم وسائل التواصل الاجتماعي كوسيلة للخيانة الزوجية، حيث يمكن للافراد التواصل مع اشخاص اخرين خارج نطاق الزواج، مما يؤدي الى تدمير الثقة في العلاقة. وتساهم المقارنة المستمرة بين الحياة الواقعية والحياة المثالية المعروضة على وسائل التواصل الاجتماعي من قبل بعض مشاهير الانستقرام والفيس بوك والتيك توك الى زيادة الشعور بالنقص وعدم الرضا،

مما يؤثر سلباً على العلاقات الاسرية. بالاضافة الى الافتقار الى الخصوصية، اذ يؤدي نشر التفاصيل الشخصية على وسائل التواصل الاجتماعي الى انتهاك الخصوصية وبالتالي تتعرض الاسرة الى العنف الالكتروني مثل التنمر والتشهير الذي يؤدي الى تدهور العلاقات الاسرية والتي بدورها تؤدي الى الطلاق.

8. العنف: تساهم العولمة في انتشار الالعاب الالكترونية العنيفة على نطاق واسع، وتلعب وسائل الاعلام دوراً كبيراً في نشر خطاب الكراهية والعنف، وتضخيم الخلافات، مما يزيد من تعرض الشباب لها. ونرى ان هنالك حملات تسويق مكثفه للالعاب الالكترونية العنيفه لدى الشباب. وتركز شركات الالعاب على استهداف الاطفال و الشباب من خلال الاعلانات التي تروج للعنف و الاثارة، مما يزيد من جاذبية هذه الالعاب. والعولمة لديها اذرع في كل مكان و زمان . يستطيع المؤثر التأثير على وسائل التواصل الاجتماعي بشكل كبير على سلوك الشباب، وخاصة عندما يروجون للالعاب العنيفه. ويقلد العديد من اللاعبين شخصيات الالعاب العنيفه ويتبنون سلوكياتهم العدوانيه. وتساهم الالعاب الالكترونيه في زيادة العنف من حيث المحتوى العنيف لهذه الالعاب، مما يعرض الافراد بأستمرار لمشاهد قتال و قتل، وقد يؤدي ذلك الى تطبيع العنف في اذهانهم. وتشير بعض الدراسات الى وجود صله بين الالعاب الالكترونيه العنيفه وزيادة السلوكيات العدوانيه في الحياة الواقعيه. وهنالك العاب تقود الشخص الى الانتحار من خلال تنفيذ لاوامر اللعبه التي يتم تطبيقها من قبل اللاعب وهذا ما حدث مع احد طلاب مدرسة ثانوية نموذجية في مدينة بغداد، اذ اقدم احد الطلبة، ذو المستوى العلمي الجيد، على الانتحار بسبب لعبة (الحوت الازرق) اذ نفذ جميع الاوامر ووصل الى الامر الاخير الا وهو الانتحار، فوجد ميتا في غرفته ، بعدما شنق نفسه بواسطة حبل تم ربطه في المروحه السقفيه فأصبح هنا تنفيذ الاعدام من قبل الفرد نفسه بعد التحكم به عن بعد والسيطره عليه بواسطة هذه الالعاب، فالعولمه اصبحت لديها هيمنه واسعه وشامله على كل فرد وكل مجتمع ودخلت الى المنازل بدون قيد او شرط ولا نستطيع الرجوع الى السابق لان العالم في تغير سريع بصوره مخيفه.

9. مجتمع الميم: لا يخلو اي مجتمع من المجتمعات من افراد يطلق عليهم مجتمع الميم (الذي يضم مزدوجي الميول الجنسية، والمتحولين جنسيا، والمثليين جنسيا) هؤلاء الاشخاص لم يكونوا على مستوى واسع من الانتشار بصورة علنية بل كان عليهم ان يخفوا ميولهم الجنسية المثلية خوفا من الرفض الاجتماعي والعقاب. اما اليوم وبعد اجتياح العولمة بشكل كبير المجتمعات العربية بشكل عام والمجتمع العراقي بشكل خاص، اصبح هؤلاء الاشخاص يتفاخرون بميولهم الجنسية المثلية، اذ ساهمت وسائل الاعلام على نشر ثقافة مجتمع الميم بشكل واسع عبر وسائل التواصل الاجتماعي من خلال نشر فديوهات تحث على هذا الفعل، من اجل خلق جيل متحرر لايعترف بالقيم والعادات المجتمعية ويستطيع ان يفعل ما يحلو له. اذ لعبت حركات حقوق الانسان دورا حاسما في المطالبة بحقوقهم والعمل على دمجهم في المجتمع وشهد العالم العديد من التغيرات التشريعية التي منحت حقوقا جديدة للمثليين، مثل الزواج وتبني الاطفال. يشهد المجتمع العراقي وجود حالات من الميول الجنسية المثلية ما بين فئة الشباب وذلك بسبب تأثرهم المباشر بوسائل التواصل الاجتماعي ومشاهدتهم لاشياء خارجة

عن المألوف مثل فديواو فيلم او بث مباشر او اعلان يروج لمثل هذا السلوك وبطريقة مغرية لجذب انتباه المشاهد، مما يعززعندهم الرغبة في خوض هذه التجربة. ولقد تم رصد بعض الحالات في صفوف فئة الشباب في احد الاماكن التعليمية الموجودة في مدينة بغداد، وامام مرأى الناس وفي العلن وبدون خوف او حرج . والغريب بالامر هو عدم وجود أي إستهجان لهذا الفعل اوحتى إستغراب بين الشباب وكأن الامر عادي لديهم، وانهم معتادون على هذه المناظر.ان هذا الامر يثير التوجس بين افراد المجتمع من تحول القيم المجتمعية من رافضة للمثلية بإعتبارها مرضا الى أخرى تعتبرها مسألة شخصية وعلى المجتمع قبولها و معاملة من يمارسها على قدم المساواة مع باقي أفراد المجتمع.

10. الابتزاز الالكتروني: لعب الانترنت و وسائل التواصل الاجتماعي دورا بارزا في زيادة جريمة الابتزاز الالكتروني وبشكل مقلق في عالمنا الرقمي المتسارع. اذ يسهل الانترنت على المبتزين الوصول الى ضحاياهم والاتصال بهم، من خلال مواقع التواصل الاجتماعي و تطبيقات المراسلة او مواقع المواعدة او اختراق حسابات الضحية ، يحصل المبتز على صور او فديوهات او رسائل ويهدد بنشرها علنا اذا لم يستجب الضحية لمطلبه. في الاونة الاخيرة ظهرت عملية الابتزاز الالكتروني وبشكل ملحوظ في المجتمع العراقي ، اذ تعرض العديد من الشباب والكبار الى عملية الابتزاز، وذلك لافتقار الناس الى الوعي الكافي بمخاطر الابتزاز الالكتروني وكيفية حماية انفسهم من شبكة ضعاف النفوس (المبتزين). وهنالك انواع عديدة من الابتزاز الالكتروني منها الابتزاز السياسي او الاجتماعي او المادي او الجنسي. الدافع الأساسي للمبتز هو الحصول على المال من الضحية مقابل عدم نشر المعلومات التي يمكن أن تشكل تهديدا للضحية. هنالك الكثير من الاشخاص الذين تعرضوا الى الابتزاز الالكتروني ممن هم على مستويات مختلفة من التحصيل الدراسي، اذ كانوا ضحية لهذا التطور التكنولوجي. يتعرض الشباب الى عملية ابتزاز وذلك لادمانهم إستخدام مواقع التواصل الاجتماعي والانترنت المتاح لهم في هواتفهم النقالة، اذ رصدت حالات عديدة من تعرض بعض الاشخاص للابتزاز الذي قد يقودهم الى الهروب من عوائلهم او الانتحار او القتل تحت مسمى غسل العار(للفتيات) او الطلاق وتفكيك اسرة بأكملها .

الخاتمة والتوصيات

أظهر هذا البحث ان العولمة الثقافية هي قوة مؤثرة بشكل كبير في تشكيل الهويات الثقافية لدى المجتمع العراقي وخاصة لدى الشباب. لقد سلط الضوء على التحديات الكبيرة التي تثيرها العولمة الثقافية مثل تآكل الهويات المحلية، وتجانس الثقافات، والعنف، والانتحار، والمخدرات وغيرها من التحديات التي تم ذكرها اعلاه. ان العولمة الثقافية تتجاوز الحدود الجغرافية والسياسية وتبدأ بالتغلغل في المجتمعات من اجل فرض هيمنتها على العالم اجمع من خلال نشر قيم ثقافية جديدة بعيدة كل البعد عن اخلاقيات وقيم المجتمعات العربية ومنها المجتمع العراقي. ان العولمة الثقافية لاتؤدي فقط الى تبادل العناصر الثقافية، بل تساهم ايضا في تشكيل هويات ثقافية جديدة. فمع انتشار وسائل الاعلام والاتصالات، تتشابك الثقافات المختلفة، مما يؤدي الى تحول في انماط الحياة والقيم. ومع ذلك فأن هذا التحول لايتم بشكل خطي بل يشهد تفاعلا معقدا بين العوامل المحلية والعالمية. وفي ظل التحديات التي تفرضها العولمة الثقافية يصبح من الضروري ان نعمل على تحقيق توازن بين الحفاظ على التنوع الثقافي والاستفادة من فوائد العولمة، من خلال دعم السياسات التي تشجع الحوار الثقافي وتعزيز التعليم الثقافي لدى الشباب وتشجيع المبادرات التي تساهم في الحفاظ على التراث الثقافي.

المصادر

1. د. لاهاي عبدالحسين، مصطلحات ونصوص سوسيولوجية باللغتين العربية والانكليزية، ط1، دار ومكتبة البصائر، لبنان- بيروت 2012،ص 227.
2. د. جلال امين، العولمة والتنمية العربية من حملة نابليون الى جولة الاورغواي 1798-1998،ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان- بيروت، 1999، ص 117
3. المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم،وقائع الملتقى العربي، مصدر سابق ص 35.
4. .مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية،العدد الثامن 2012،التغير الاجتماعي ودوره في تغيير القيم .د. لطيفة طبال الجزائر ص 418-419
5. صموئيل هنتنغتون، ترجمة د. مالك عبيد ابو شهيوه، د. محمود محمد خلف، صدام الحضارات واعادة بناء النظام العالمي، ط 1، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والاعلان، العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى 1999، ص 506
6. معجم المعاني الجامع، معجم عربي عربي، مصدر سابق
7. المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم،وقائع الملتقى العربي حول التربية وتحديات العولمة الاقتصادية، تونس 2003، ص 28
8. د.جعفر نجم نصر،د.يحيى حسين زامل، انثروبولوجيا العولمة خطاطات تحليلية في الثقافة والاقتصاد، ط1، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، سورية، دمشق 2021،ص33

---

[1]. معجم المعاني الجامع، معجم عربي عربي، www.almaany.com

[2] .د. لاهاي عبدالحسين، مصطلحات ونصوص سوسيولوجية باللغتين العربية والانكليزية، ط1، دار ومكتبة البصائر، لبنان- بيروت 2012،ص 227

[3] . Michael Agnes, Webster's New World College Dictionary, Fourth Edition, Wiley Publishing Inc., 2004, P95

[4] .معجم المعاني الجامع، معجم عربي عربي، مصدر سابق

[5] .المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم،وقائع الملتقى العربي حول التربية وتحديات العولمة الاقتصادية، تونس 2003، ص 28

[6] . محمد الخطيب، الانثروبولوجيا الثقافية، ط2، دار علاء الدين للنشر 2008، ص 21

[7] .لويس معلوف، المنجد في اللغة، ط37، دار الفقة للطباعة والنشر، لبنان- بيروت، 2001، ص 71

[8] .د. محمد الجوهري حمد، الثقافات والحضارات، اختلاف النشأة والمفهوم، ط1، الدار المصرية اللبنانية 2009، ص35، 37

[9] .د.جعفر نجم نصر،د.يحيى حسين زامل، انثروبولوجيا العولمة خطاطات تحليلية في الثقافة والاقتصاد، ط1، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، سورية، دمشق 2021،ص33

[10] .المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم،وقائع الملتقى العربي، مصدر سابق ص 35.

[11] . مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية،العدد الثامن 2012،التغير الاجتماعي ودوره في تغيير القيم .د. لطيفة طبال الجزائر ص 418-419

[12] .صموئيل هنتنغتون، ترجمة د. مالك عبيد ابو شهيوه، د. محمود محمد خلف، صدام الحضارات واعادة بناء النظام العالمي، ط 1، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والاعلان، العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى 1999، ص 506

[13] .د. جلال امين، العولمة والتنمية العربية من حملة نابليون الى جولة الاورغواي 1798-1998،ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان- بيروت، 1999، ص 117